بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

النواجى (٧٨٥ أو ٨٨٨ - ٨٥٩)(*)

شمس الدين محمد بن حسن بن على بن عثمان النواجى القاهرى الشافعى

الأديب البارع النحوى الشاعر المجيد له مؤلفات منها حاشية على توضيح ابن هشام ومراتع الغزلان وحلبة الكميت (ديوان الإسلام) ينتسب إلى نواج قرية بمصر بمديرية الغربية. ولد بالقاهرة وقرأ على مشايخ عصره، ثم دخل دمياط والإسكندرية وتردد إلى المحلة وغيرها، وأمعن النظر فى علوم الأدب حتى فاق أهل عصره وأطال الاعتناء بالأدب فحوى فيه أعلى الرتب. عمل كتاب سماه الحجة فى سرقات ابن حجة واشتهر ذكره وبعد صيته وقال الشعر الفائق والنثر الرائق وجمع المجاميع وطارح الأئمة وأخذ عنه غير واحد واستقر فى تدريس الحديث بالجمالية والحسينية إلى أن مات.

حلبة الكميت - فى الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات وهو مجلد نظم فيه كل شكل غريب ورتب على ٢٥ بابًا فى أوصاف الخمر والنديم والساقى والمجلس وآدابه والأغانى والملاهى والخلاعة والأزهار والفواكه والخاتمة فى التوبة وذم الخمر - وهو كتاب مفيد معتبر عند الأدباء ولا عبرة بذمه (كشف الظنون) بولاق ١٢٧٦ ص ٣٤٠ مطبعة الوطن ١٢٩٩ ص ٣٨٥ عن معجم سركيس ١٨٧٢ ص.

(*) حسن المحاضرة ١ - ٢٧٤ ابن إياس جزء ٢ - ٣٢ و٤٩ طبقات الشافعية للأسدى ورقة ١١٣ الخطط الجديدة ١٧ - ١٣ نظم العقيان للسيوطى ١٤٤ الضوء اللامع ٧ - ٢٢٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أدار كؤوس الأدب على أهل الذوق، فمالوا طربًا بقهوة الإنشا، وأطلع نجوم حبابها فى سماء البلاغة فاستغنوا بأنوارها الزاهرة عن صبح الأعشاء.

أحمده حمد من مزج صافى فكره برائق المعانى فعذبت مشربه وحسنت آدابه، ورشف سلاف الفصاحة فى مجالس أنسه فتلى لسان ذوقه هذا عذب فرات سائغ شرابه، وأشكره شكر من جلى عرائس معانيه فى خلل ألفاظه فحظى من بديع البيان بعروس الأفراح، وأدمن على منادمة كتب الأدب وما برح من سواد سطورها وبياض طروسها فى اغتباق واصطباح.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى ألهمنا أن نسمع القول فنتبع أحسنه، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى اختاره لنفسه وميز به بين السيئة والحسنة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة يبوءهم بها فى الفردوس سكنه، وبعد، ،

فقد سألنى من أمره مطاع، ومخالفته لا تستطاع، أن أجمع له من مقاطيع الشرب نبذة رفيعة البز رقيقة الحاشية، وأقتطف له من حدائق الآداب زهرة قطوفها دانية، لينزه طرفه فى جنات من نخيل وأعناب ويمتع ذوقه بفاكهة كثيرة وإشاب، فلم أجد بدا من مطاوعته، ولا سبيلا إلى مخالفته، كيف وأنا أطوع له من النفس للشهوة، والكأس للقهوة، وجمعت له فى هذه الأوراق ما رق وراق، وأبرزت فى وصف الكميت شعر من تفحل وأمسى وهو إلى الغايات سباق، وابتعت ما غلت قيمته ولكن ما خرجت عن سوق الرقيق، وملكت ما تحرر فى وصف هذا الشراب الحديث وإن ادعى أنه عتيق، وتلوت فى وصف الحباب والراح مرج البحرين يلتقيان، يخرج منهما اللؤلؤ

والمرجان، فإذا وصفت ثغر الكأس وقد ابتسم عن درّ حبابه بفنون خمرته لم يفتنى من المحاسن شنب، وجاء بنت المقامات حابيًا خاضعًا يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن أقاح وعن طلع وعن حبب. وإن نعت لطف الزجاج لم نعقل فى هذا الحساب جمل الزجاج، وكيف لا وهو الخل الصافى والنديم الذى اعترف كل ذوق بأنه لطيف المزاج.

وكانت خمريات أبى نواس ومن تابعه قد خفى برقها ولم يلح من جانب الغور، واليوم كاساتها فى هذا المجموع تقول لأهل العصر هنيئًا فقد جاءنا دور. وها أنا أشنف أسماع أهل الأدب ليهيموا بسلاف هذا الوصف سكرا، ويكاد كل ذى ذوق سليم ينشدنى ألا فاسقنى خمرا فإذا انتشى بسلافته نقلته إلى روضة تجلسه من نرجسها على الأحداق. وكلما غنى بمدحها نقطته بالندا ونثرت له عقود اللؤلؤ فى الأوراق وفتحت أوراق كرمها أكف الدعاء وأشار المنثور إلى تحيته بأصابعه، وأتحفته بعد قهوة الإنشا بزهر المنشور ورامت بسجع المطوق تشنيف مسامعه، وضمت بنات الورد حمر شفاهها وأشارت من بعيد إلى تقبيله، وألقى الماء بروحه من شاهق فتكسر وسعى جاريا لخدمته ودخل تحت ذيوله. وبرز الزنبق بمزرده وحمل الراية البيضاء له، وابتسمت ثغور الأقحوان فرحة وودت أن يطأها بنعله لتقبله وتختمت أنامل الغصون بخواتم زهرها ودرر الطلل فصوص تلك الخواتم، وترفع البنفسج عليه فملوا لسانه من قفاه وناحت عليه سواجع الحمائم. فأكرم به من مجموع غازلته عيون المحاسن من وراء الستائر، فكيف لا ينشرح صدر متأمله وكأس حضرته فى كل وقت دائر، تنفست الصهباء فى لهواته نثرًا ونظمًا وانتشا منادمه على السماع فتحققت أن الاسم عين المسمى، وفيه أقول:

لله درك مجموعا فتنت به ... حبًّا براح وأهدى طيب أزهار

يكاد يسكر رائيه ولا عجب ... فكل بيت حواه بيت خمار

ونظمت به شمل كل غـريب ليكون هذا المجموع مفـردًا وسللت سيف الاختـراع من غمـده ونصلته من كل ذهن كليل لئـلا يظهر على مـتنه صدا. وسميتـه حلبة الكميت، وحسمت مادة الأسف بجمـعه بحيث لا أقول ليت، وعنيت بتوريتـه ما يسفـر من وراء ستر الحـباب عن وجه الراح، فـإنه الوجه الذى إذا جلتـه مواشط الأفكار فـقل ما شـئت فى عروس الأفـراح، ورأيت فحول الشعـراء قد تفرسوا فى السبق إلى كل حلبة، وكان عـيشهم بالكميت أخضر وما منهم إلا من أدار على شرب الأدب شربه، فقدمت من أجاد منهم النظم فى عقـود حبابهـا وداوى علل الأفهـام بما أحكمه فى أصول شـرابها، فجاء بحمد الله تعالى حاويا لجواهر المعانى وبدائع التشبيه، فلذلك أبدعت فى وصفه وقلت فيه:

مـجـمـوعنا حـاز كل حـسن يعـجـز وصـف الأنام عـنده

ويا مـجـامـيع مـن تسـامى علـى كـتـابى سـلخت جـلده

ورتبته على خمسة وعشرين بابًا وخاتمة.

الباب الأول: فى أسماء الخمرة ومستعملها ومتروكها.

الباب الثانى: فى أصل الخمرة وأول من أعقرها والسبب فى ذلك.

البال الثالث: فى طبائعها ومنافعها وخواصها.

الباب الرابع: فى استعمالها على رأى الحكماء.

الباب الخامس: فـيما يجب على مسـتعملها من حـقوق المنادمة وآداب النديم.

الباب السادس: فيمن يختار من الندماء وذكر طرف من لطائفهم.

البـاب السـابع: فى الإحـسان إلى النـدماء وتتـابع صـلاتهم وحـسن جوائزهم.

الباب الثامن: فى أشعارهم الرائقة وأفكارهم الفائقة.

الباب التاسع: فى المغرمين بشربها والمصرين عليها.

الباب العاشر: فى استهدائها واستدعائها من الأدباء نثرًا ونظمًا.

الباب الحادى عشر: فى وصفها بجميع أنواعها وما وقع فيها من المعنى البليغ والتشبيه البليغ.

الباب الثانى عشر: فى وصف ما يشتمل عليه مجلس الأنس من أوانى الشراب وكاسات وطاسات بواطى وظروف وراووق وقنانى وأباريق وغير ذلك.

الباب الثالث عشر: فى وصف الساقى وآدابه وما اختص به.

الباب الرابع عشر: فى وصف الأغانى وآلات الملاهى.

الباب الخامس عشر: فى وصف الشموع والفوانيس والسراج.

الباب السادس عشر: فى وصف مجلس الأنس بعد تمامه وترتيبه وانتظامه وما يلحق بذلك من ذكر ليالى الصفا وطرف من الخلاعة.

الباب السابع عشر: فى الزهريات والرياحين والفواكه على طريق الخصوص والانفراد.

الباب الثامن عشر: فيما قيل على طريق العموم والكلام على فصل الربيع.

الباب التاسع عشر: فى الجداول والدواليب والنواعير والبرك والفوارات.

الباب العشرون: فى نيل مصر ومفترجاتها نظمًا ونثرًا.

الباب الحادى والعشرون: فى مفترجات بقية البلدان على اختلاف أنواعها.

الباب الثانى والعشرون: فى النسيم ولطافته.

الباب الثالث والعشرون: فى غناء الحمائم وحمائم الرسائل.

الباب الرابع والعشرون: فى الغنيم والمطر والرعد والبرق والشمس والقمر والنجوم والصبح وغير ذلك.

الباب الخامس والعشرون: فى المطولات والأراجيز والأزجال من جميع ما تقدم من الزهريات.

الخاتمة: فى التوبة والإخلاص وذم الخمرة والتنفير عنها والله سبحانه وتعالى علم.

وكأنى بمنتقد بسىء بى الظن ويقول كما قيل لابن الوردى كيف رضى لنفسه مع شرف العلم بهذا الفن، فأقول كما قال رحمه الله التقوى فى الصدر، والأدب جليل القدر.

وكم من بيت عمر دارا ورفع لقائله مقدارا

والصحابة كانوا ينظمون وينثرون، ونعوذ بالله من قوم لا يشعرون شعرا:

تالله ما الخمر مرادى وإن نظمت فيه كعقود الجمان

لكن من رام نفاق الذى يقوله ينظم خرج الزمان

وقد آن أن نقدم وصف الكميت ونبرزه للسبق فى هذه الحلبة، وندخل بعد ذلك إلى بستان النزه ونصف أمهات عصفه وأبه، ونسأل الله تعالى أن يلهمنا من فضله توبة ونسكا، ويسقينا من الخمرة المقدسة الذى أمسى ختامها مسكا.

* * *